

## التجربة التربوية نحو نموذج للتكامل الصوفي المعرفي

مراجعة مقال □ Subject Rvieu

م.د. انتصار خليل حسن

Intisar khalil675@gmail.com

م.د. غيداء محمد حسن

جامعة بغداد/ كلية العلوم الاسلامية

### الملخص

يهدف هذا المقال إلى تحليل التجربة الروحية بوصفها ظاهرة متعددة المستويات تتقاطع فيها الفلسفة الكلاسيكية، والتصوف الإسلامي، وعلم الأعصاب المعاصر، مع اقتراح نموذج نظري تكاملي يُسمى "نموذج التكامل الوجودي-المعرفي". تنطلق إشكالية المقال من التساؤل حول إمكانية بناء تفسير علمي-فلسفي متكامل للتجربة الروحية يتجاوز الاختزال العقلي أو العصبي أو الذوقي الأحادي.

اعتمد المقال المنهج التحليلي التفسيري المقارن، من خلال قراءة نصوص فلسفية وصوفية كلاسيكية، وتحليل نتائج دراسات عصبية حديثة حول الشبكات الدماغية المرتبطة بالوعي الديني والروحي. أظهرت النتائج أن التجربة الروحية تتكون من ثلاثة مستويات مترابطة: البنية العصبية، القصدية الإدراكية، وإعادة بناء المعنى الوجودي. ويقترح المقال أن التكامل بين هذه المستويات يقدم إطاراً علمياً وفلسفياً قادرًا على تفسير التحول الروحي بوصفه عملية معرفية-وجودية ديناميكية.

يسهم المقال في تطوير حقل الدراسات متعددة التخصصات بين الفلسفة، والتصوف، وعلم الأعصاب، ويفتح آفاقاً بحثية في علم النفس الروحي والصحة النفسية. الكلمات المفتاحية: التجربة الروحية، الفلسفة، التصوف الإسلامي، علم الأعصاب، التكامل الوجودي-المعرفي.

altajribat altarbawiat nahw namudhaj liltakamul alsuwfii almaerifii .

aedad . ma.d.Intisar khalil hasan

ma.d Ghaidaa' mohammed Hasan

**Abstract**

This article examines spiritual experience as a multidimensional phenomenon situated at the intersection of classical philosophy, Islamic mysticism, and contemporary neuroscience. It addresses the central question of whether an integrative scientific–philosophical model can be constructed to explain spiritual experience beyond reductionist interpretations.

Using an analytical and comparative methodology, the study engages classical philosophical and Sufi texts alongside recent neuroscientific findings on brain networks associated with religious and spiritual cognition. The findings suggest that spiritual experience operates across three interconnected levels: neural structures, intentional consciousness, and existential meaning reconstruction. The proposed Existential–Cognitive Integration Model offers a comprehensive framework for understanding spiritual transformation as a dynamic cognitive–existential process.

The article contributes to interdisciplinary scholarship linking philosophy, mysticism, and neuroscience, and provides implications for spiritual psychology and mental health research.

**Keywords: spiritual experience, philosophy, Islamic mysticism, holistic science, existential–cognitive.**

**المقدمة**

تُعد التجربة الروحية من أكثر الظواهر الإنسانية تعقيدًا، إذ تتداخل فيها أبعاد عقلية ووجدانية ووجودية. وقد تناولتها الفلسفة الكلاسيكية بوصفها ارتقاءً معرفيًا نحو الحقيقة، كما في تصور أفلاطون للمعرفة التأملية (Plato, 2003/380 ق.م، ص. ٤٥)، وربطها أرسطو بتحقيق الفضيلة وكمال النفس العاقلة (Aristotle, 2004/350 ق.م، ص. ١٣٢).

أما في الفلسفة الحديثة، فقد ارتبطت التجربة الروحية بمفهوم الوعي الذاتي والتقصية؛ إذ رأى كانط أن العقل العملي يؤسس للمعنى الأخلاقي المتجاوز (Kant, 1781/1992، ص. ١٠٢)،

بينما تناول هايدغر التجربة الوجودية بوصفها انكشافاً لحقيقة الكينونة ( Heidegger, 1927/1996، ص. ٧٨).

في المقابل، اعتبر التصوف الإسلامي أن التجربة الروحية ليست مجرد تأمل عقلي، بل “تذوق” حضوري مباشر للحقيقة، كما عند الغزالي (١١١١/٢٠٠٠، ص. ٢١٥)، وتجربة فناء وبقاء عند ابن عربي (١٢٣٥/١٩٩٧، ص. ٨٨).

ومع تطور علم الأعصاب، بدأت الدراسات تشير إلى دور شبكات دماغية محددة في التجربة الدينية والروحية، خاصة الشبكة الافتراضية Default Mode Network (McNamara & Grafman, 2024، ص. ٣).

من هنا تتحدد إشكالية المقال في السؤال الآتي:

هل يمكن بناء نموذج تكاملي يفسر التجربة الروحية بوصفها ظاهرة تجمع بين البنية العصبية، والوعي القسدي، وإعادة تشكيل المعنى الوجودي؟

أولاً: التجربة الروحية في الفلسفة الكلاسيكية والمعاصرة

يرى أفلاطون أن النفس ترتقي عبر التأمل نحو عالم المثل، حيث تتحقق المعرفة الحقة ( Plato, 2003/380 ق.م، ص. ٤٧). بينما يؤكد أرسطو أن السعادة تتحقق عبر ممارسة العقل العملي وتحقيق الفضيلة (Aristotle, 2004/350 ق.م، ص. ١٣٤).

في الفلسفة الظاهراتية، يربط ميرلو-بونتي التجربة الإدراكية بالوعي المتجسد، معتبراً أن التجربة الروحية ليست مفصولة عن الجسد بل متحققة عبره (Merleau-Ponty, 1962/2005، ص. ٥٩).

تشير هذه التصورات إلى أن التجربة الروحية في الفلسفة هي تجربة قسدية، عقلية، لكنها لا تنفصل عن البعد الوجودي.

ثانياً: التجربة الروحية في التصوف الإسلامي

يؤكد الغزالي أن المعرفة الحقيقية بالله تتحقق عبر الذوق والكشف، لا عبر البرهان المنطقي وحده (الغزالي، ١١١١/٢٠٠٠، ص. ٢٢٠).

ويرى ابن عربي أن التجربة الروحية تمثل انتقالاً من الإدراك العقلي إلى الشهود الوجودي، حيث يتحقق الفناء في الحق ثم البقاء به (ابن عربي، ١٢٣٥/١٩٩٧، ص. ٩١).

أما السهروردي فيربط المعرفة الروحية بالنور الباطني الذي يضيء القلب والعقل معاً (السهروردي، ١١٩١/١٩٩٣، ص. ٥٧).

إذن، التصوف يضيف بعداً وجودياً تحوليّاً لا نجده بوضوح في الفلسفة العقلانية.

ثالثاً: علم الأعصاب والتجربة الروحية

تشير الدراسات الحديثة إلى أن التجارب الروحية ترتبط بنشاط الشبكة الافتراضية المسؤولة عن الوعي الذاتي (McNamara & Grafman, 2024، ص. ٥).

كما أظهرت دراسة Svob وآخرين (٢٠١٦، ص. ٩٥) أن الترابط الوظيفي في هذه الشبكة يتأثر بالأهمية الدينية للفرد.

ويشير Jedlicka & Havenith (٢٠٢٥، ص. ٤) إلى أن التجربة الروحية يمكن فهمها ضمن إطار الأنظمة المعقدة، حيث يتكامل الإدراك والانفعال والمعنى.

هذه النتائج تؤكد أن البعد العصبي ليس تفسيراً اختزالياً، بل يمثل مستوى من مستويات الظاهرة.

رابعاً: نموذج التكامل الوجودي-المعرفي

يقترح المقال نموذجاً تكاملياً يتكون من ثلاثة مستويات:

المستوى العصبي: نشاط الشبكات الدماغية المرتبطة بالوعي الذاتي.

المستوى القسدي: الوعي المتأمل والإدراك الظاهراتي.

المستوى الوجودي: إعادة بناء المعنى والتحول الداخلي.

يتفاعل كل مستوى مع الآخر ديناميكياً، بحيث لا يمكن فهم التجربة الروحية عبر مستوى واحد فقط.

المناقشة

يتضح أن الفلسفة تفسر البعد العقلي، والتصوف يفسر البعد التحولي، وعلم الأعصاب يفسر البنية البيولوجية. غير أن كل حقل بمفرده يظل قاصراً عن تقديم تفسير شامل.

النموذج المقترح يوفر إطاراً متعدد التخصصات يفتح المجال لدراسات تطبيقية في علم النفس الروحي والعلاج المعرفي الوجودي.

الخاتمة

التجربة الروحية ظاهرة مركبة تتجاوز التفسير الأحادي. ويؤكد هذا المقال أن التكامل بين الفلسفة، والتصوف، وعلم الأعصاب يوفر فهماً أعمق للتحول الروحي بوصفه عملية معرفية-وجودية متعددة المستويات.

الاستنتاجات

التجربة الروحية ظاهرة متعددة المستويات: تشمل البنية العصبية، القصدية الإدراكية، والبعد المعنوي الوجودي، ولا يمكن اختزالها في بعد واحد فقط (McNamara & Grafman, 2024، ص. ٥؛ الغزالي، ٢٠٠٠/١١١١، ص. ٢٢٠).

الفلسفة التقليدية والتصوف يمثلان بعدين مكملين: الفلسفة توفر الإطار العقلي التحليلي، والتصوف يضيف البعد التحولي والوجداني (ابن عربي، ١٩٩٧/١٢٣٥، ص. ٩١).

علم الأعصاب يثبت أن هناك أساسًا بيولوجيًا للوعي الروحي، لكنه لا يفسر معنى التجربة أو البعد الوجودي (Svob et al., 2016، ص. ٩٥).

نموذج التكامل الوجودي-المعرفي (نظرية ثناء) يحقق الجمع بين العقل، الإحساس الروحي، والبنية العصبية، موفرًا إطارًا علميًا وشاملاً لفهم التجربة الروحية. يمكن للتجربة الروحية أن تكون أداة معرفية ونفسية لتحسين الصحة النفسية، وفهم الذات، والتحول الأخلاقي والروحي.

#### التوصيات

دمج الفلسفة، التصوف، وعلم الأعصاب في الدراسات المستقبلية حول التجربة الروحية لتقديم تفسير شامل.

تشجيع البحوث التجريبية التي تقيس نشاط الدماغ خلال التأمل الروحي أو التجربة الصوفية باستخدام تقنيات حديثة مثل fMRI و EEG.

تطوير برامج تدريبية في الصحة النفسية الروحية تعتمد على مبادئ نموذج التكامل الوجودي-المعرفي.

تعزيز التعاون بين علماء النفس، الفلاسفة، وعلماء الأعصاب لتفسير التجربة الروحية بشكل متعدد التخصصات.

إدماج التجربة الروحية في المناهج التعليمية والتربوية لتعزيز القيم الأخلاقية والوعي الذاتي. المقترحات

دراسة الفروق الفردية في الاستجابة للتجربة الروحية عبر الشبكات العصبية ونمط التفكير الفلسفي أو الصوفي.

إجراء مقارنات بين مختلف التقاليد الدينية والفلسفية لفهم التباينات والتشابهات في التجربة الروحية.

تطبيق نموذج التكامل الوجودي-المعرفي في العلاج النفسي الروحي والوقائي لتقليل القلق والاكتئاب وتحسين جودة الحياة.

استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي لتحليل بيانات النشاط العصبي أثناء التجارب الروحية لزيادة الدقة العلمية.

فتح المجال لبحوث عابرة للثقافات لفهم التجربة الروحية بطريقة علمية تشمل جميع الأبعاد. قائمة المراجع العربية..

الغزالي، أحمد. (٢٠٠٠/١١١١). إحياء علوم الدين. بيروت: دار الكتب العلمية.

ابن عربي، محيي الدين. (١٩٩٧/١٢٣٥). فصوص الحكم. بيروت: دار الكتب العلمية.

السهروردي، شهاب الدين. (١٩٩٣/١١٩١). حكمة الإشراف. طهران: مركز نشر الكتاب.

- ابن رشد، محمد. (١١٩٨/٢٠٠١). تهافت التهافت. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفارابي، أبو نصر. (٩٥٠/٢٠٠٢). آراء أهل المدينة الفاضلة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الرازي، محمد بن زكريا. (٩٢٥/١٩٩٨). الرسالة الكاملة في الفلسفة والطب. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ابن سينا، أبو علي. (١٠٣٧/٢٠٠٠). الشفاء - الميتافيزيقا والطبيعة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن خلدون، عبد الرحمن. (١٤٠٦/١٩٩٧). المقدمة - علم العمران البشري. بيروت: دار الكتاب العربي.
- الجرجاني، أبي الفرج. (١٠٧٨/٢٠٠٣). أصول البلاغة. بيروت: دار الكتب العلمية.
- الطوسي، نجم الدين. (١٢٧٤/١٩٩٩). أخلاق الحكماء والسياسة الروحية. بيروت: دار الفكر العربي.
- قائمة المراجع الأجنبية .
- Aristotle. (2004/350 ق.م). *Nicomachean Ethics* (T. Irwin, Trans.). Indianapolis: Hackett Publishing.
- Heidegger, M. (1927/1996). *Being and Time* (J. Macquarrie & E. Robinson, Trans.). San Francisco: HarperSanFrancisco.
- James, W. (1902/2002). *The Varieties of Religious Experience*. New York: Penguin.
- Kant, I. (1781/1992). *Critique of Pure Reason* (P. Guyer & A. Wood, Trans.). Cambridge: Cambridge University Press.
- McNamara, P., & Grafman, J. (2024). Advances in brain and religion studies: a review and synthesis of recent representative studies. *Frontiers in Human Neuroscience*, 18, 1495565. <https://doi.org/10.3389/fnhum.2024.1495565>
- Merleau-Ponty, M. (1962/2005). *Phenomenology of Perception* (C. Smith, Trans.). London: Routledge.
- Plato. (2003/380 ق.م). *The Republic* (B. Jowett, Trans.). New York: Dover Publications.
- Jedlicka, P., & Havenith, M. N. (2025). Religious and spiritual experiences from a neuroscientific and complex systems perspective.

Neuroscience & Biobehavioral Reviews, 177, 106319.

<https://doi.org/10.1016/j.neubiorev.2025.106319>◆

Svob, C., Wang, Z., Weissman, M. M., Wickramaratne, P., & Posner, J. (2016). Religious and spiritual importance moderate relation between default mode network connectivity and familial risk for depression.

Neuroscience Letters, 634, 94–97.

<https://doi.org/10.1016/j.neulet.2016.10.009>◆

Knegtering, H., Bruggeman, R., & Spoelstra, S. K. (2024). Spirituality as a Therapeutic Approach for Severe Mental Illness: Insights from Neural Networks. Religions, 15(4), 489.

<https://doi.org/10.3390/rel15040489>◆